ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

Dr. Abdulrahman Mohammed Rubain

Assistant Professor at the Islamic Dawah and Culture Department, College of Da'wah and Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura University, Makkah Al-Mukarramah.

Email: amrobean@uqu.edu.sa

Keywords: Morals, Anger, Purification

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received 8 Sep 2024
Accepted 14 Dec2024
Available online 1 Jan 2025

Addressing Morals in Al-Ghazali's Thought (Anger as a Model)

A B S T R A C T

This research addresses the topic of treating the moral of anger in Al-Ghazali's thought. In the first section, I presented the texts Al-Ghazali mentioned in dispraising the moral of anger. The second section discusses the nature of anger and its interpretation according to Al-Ghazali's view. The third section presents Al-Ghazali's classification of people's degrees in anger. In the fourth section, I enumerated the causes that provoke and incite anger. Finally, in the last section, I explained Al-Ghazali's method for treating the moral of anger both before and after its occurrence.

© 2025 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/lark.3855

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

معالجة الخلق عند الغزالي (خلق الغضب أنموذجا)

د. عبدالرحمن محمد ربعين/ الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة أم القرى

الخلاصة:

تناول البحث موضوع معالجة خلق الغضب عند الغزالي، بينت في المطلب الأول ما ذكره الغزالي في ذم خلق الغضب من النصوص، وفي المطلب الثاني تحدثت عن حقيقة الغضب وتفسيره كما يرى الغزالي، ثم في المطلب الثالث أوردت تقسيم الغزالي لدرجات الناس في الغضب، وفي المطلب الرابع عددت الأسباب المهيجة للغضب والباعثة له، ثم في المطلب الأخير شرحت طريقة معالجة خلق الغضب قبل وقوعه وبعد أن يقع من وجهة نظر الغزالي.

الكلمات المفتاحية: خلق، الغضب، إصلاح.

المقدمة:

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

فإن اعتناء الشرع بأمر الخلق وإصلاحه جليٌّ ظاهر في نصوصه وتشريعاته وتوجيهاته، بل إنه من مقاصد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث: "بعثت لأتمم صالح الأخلاق"، ولهذا وجه علماء الإسلام اهتمامهم نحو موضوع الأخلاق وكيفية تحصيلها ومعالجتها، ومن أبرز من تكلم في ذلك الإمام أبو حامد الغزالي (ت 505هـ) رحمه الله في كتابيه: إحياء علوم الدين وميزان العمل.

وأردت في هذا البحث تناول نموذج من معالجته لخُلُق من الأخلاق الذميمة وهو خُلق الغضب، وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وخمسة مطالب وخاتمة:

التمهيد: تضمن ترجمة مختصرة للإمام الغزالي.

المطلب الأول: ذم الغضب.

المطلب الثاني: بيان حقيقة الغضب.

المطلب الثالث: درجات الناس في الغضب.

المطلب الرابع: الأسباب المهيجة للغضب.

المطلب الخامس: كيفية علاج الغضب.

خاتمة: وفيها أهم النتائج.

وأسأل الله السداد والقبول والإعانة.

التمهيد

أولا: اسمه ونسبه.

هو الإمام أبو حامد محمدُ بنُ محمدِ بنِ محمدِ بنِ الطُّوسيُّ الغَزَّاليُّ الشافعيُّ الأشعري، وينسب إلى بلدة طوس، وهي من بلدان نيسابور، عرفت بالعلمِ والفَضْل، وكانت منبعًا استقى منه كثير من أئمة الإسلام في مختلف الفنون.

وأما النسبة إلى الغزالي فقد اختُلف فيها على أقوال ، ذكرها الزبيدي في كتابه الذي شرح فيه «الإحياء» (الزبيدي، 1994، ١/ ١٨)، وهي:

الأول: نسبة إلى حرفة والده وهي الغَزْل، فتكون الزاي على هذا مشدّدة، وهذا هو المعروف كما قال الإمام النووي نقلًا عن ابن الأثير.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

الثاني: نسبة إلى قرية بطوس تدعى غَزالة، كما قد حُكي عن الإمام الغزالي نفسه، وجزم به الفَيُّومي في «المصباح المنير» (الفيومي، 1431، 447)، وبذلك تكون الزاي مخففة، وقد نقل عن حفيد الغزالي أنه قال: (أخطأ الناس في تثقيل اسم جدنا، وإنما هو مُخفَّف نسبةً إلى غزالة) اهـ.

الثالث: نسبة إلى غزالة بنت كعب الأحبار.

قال الزبيدي: (والمعتمدُ الآن عند المتأخرين من أئمة التاريخ والأنساب أن القول قول ابن الأثير: إنه بالتشديد) اهـ.

الشافعي: نسبة إلى المذهب الشافعي في الفقه، وقد كان منتشرًا في تلك البلاد أكثر من غيره.

الأشعري: نسبة إلى اعتقاد أبي الحسن الأشعري وطريقته.

ثانيا: مولده، وأسرته.

ولد رحمه الله بطوس عام (٤٥٠هـ)، وعاش بها سنوات قليلة مع والده، فلما حضرت والده الوفاة وَصَّى بالغزالي وأخيه أحمد إلى صديق له متصوّف وقال له: إن لي تأسفًا عظيمًا على تعلم الخط، وأشتهي استدراك ما فاتني في ولديَّ هذين، فَعَلِّمْهما ولا عليك أن تُنْفِدَ في ذلك جميع ما أخلفه لهما.

فلما مات الوالد أقبل الرجلُ على تعليمهما حتى فني مالُ أبيهما اليسير، وكان هذا الرجل فقيرًا لا يملك ما ينفق به عليهما، فوجههما إلى الذهاب للمدرسة يقتاتان منها، ففعلا ذلك، قال تاج الدين السبكي: (وكان هو السبب في سعادتهما وعلوّ درجتهما، وكان الغزالي يحكي هذا ويقول: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله) (السبكي، 1413، 193/6).

لم يرزق الإمام الغزالي إلا بالبنات، كما ذكر ذلك الإمام أبو الحسن الفارسي عَصْريُّه. (السبكي، 1413، 211/2).

ثالثا: طلبُه للعلم، وتصدره للتدريس والتأليف، ورحلاته.

ابتدأ طلب العلم في طوس، فتعلم شيئا من الفقه عند الإمام أحمد بن محمد الرَّاذَكاني، ثم رحل إلى جُرْجان، فقرأ على الإمام أبي نصر الإسماعيلي، وعلق عنه «التعليقة»، ثم رجع إلى طوس، وهو في طريقه قُطعت عليه الطريق فأُخذت منه «التعليقة»، ثمّ ردّت إليه.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وقد حكى الإمام الغزالي هذه الحادثة فقال: قُطعت علينا الطريق، وأخذ العَيَّارون جميع ما معي ومضوا، فتبعتهم، فالتفت إليَّ مقدَّمُهم وقال: ارجع ويحك وإلا هلكت، فقلت له: أسألك بالذي ترجو السلامة منه أن تردَّ عليّ تعليقتي فقط؛ فما هي بشيء تنتفعون به، فقال لي: وما هي تعليقتك؟ فقلت: كتب في تلك المخلاة، هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها، فضحك وقال: كيف تدعي عرفت علمَها وقد أخذناها منك، فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم؟! ثم أمر بعض أصحابه فسلَّم إليَّ المخلاة.

قال الغزالي: فقلت: هذا مستنطقٌ أنطقه الله؛ ليرشدني به في أمري، فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علقته، وصرت بحيث لو قطع علي الطريقُ لم أتجرد من علمي (السبكي، 1413، 195/6).

ثم بعد ذلك رحل إلى نيسابور، ولازم إمام الحرمين حتى برع في المذهب والخلاف والجدل والأصلين والمنطق، وقرأ الحكمة والفلسفة، وأحكم كلّ ذلك، وتصدى للتأليف في هذه الفنون، ومباحثة أهلها، والرد على مبطليهم، حتى صنف في كل فن منها كتبًا.

وقد وصف الفارسي حال الغزالي في نيسابور يومئذ فقال: (ثم قدم نيسابور مختلفًا إلى درس إمام الحرمين في طائفة من الشبان من طوس، وَجَدَّ واجتهد حتى تخرج عن مدة قريبة، وبزَّ الأقران، وجمل القرآن، وصار أنظر أهل زمانه وواحد أقرانه في أيام إمام الحرمين، وكان الطلبة يستفيدون منه، ويدرس لهم ويرشدهم، ويجتهد في نفسه، وبلغ الأمر به إلى أن أخذ في التصنيف، وكان الإمام مع علو درجته وسمو عبارته وسرعة جريه في النطق والكلام لا يصغي نظره إلى الغزالي؛ سترًا لإنافته عليه في سرعة العبارة وقوة الطبع) (ابن عساكر، 1399، ٢٩٢).

وبقي بنيسابور إلى أنْ مات شيخه إمام الحرمين، فخرج إلى الوزير نظام الملك بالمعسكر؛ إذ كان مجلسه مجمع أهل العلم، فناظر الأئمة وقهر الخصوم واعترفوا بفضله، قال الإسنوي: (فوقع للغزالي أمور تقتضي علو شأنه من ملاقاة الأئمة ومجاراة الخصوم اللد، ومناظرة الفحول ومناطحة الكبار، فأقبل عليه نظام الملك وحلَّ منه محلًّا عظيمًا، فعظمت منزلته وطار اسمه في الآفاق، ونُدب للتدريس بنظامية بغداد) (ابن العماد، 1986، 11/4).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

فقدم حجة الإسلام بغداد سنة (٤٨٤ هـ) ودرّس بالنظامية وسنُّه إذ ذاك أربع وثلاثون سنة، معظمًا في أهلها، تضرب به الأمثال، وتشد إليه الرحال.

يقول الفارسي في وصف ذلك: (حتى أدَّت الحالُ به إلى أن رسم للمصير إلى بغداد للقيام بتدريس المدرسة الميمونة النظامية بها، فصار إليها، وأعجب الكل بتدريسه ومناظرته، وما لقي مثل نفسه، وصار بعد إمامة خراسان إمام العراق، ثم نظر في علم الأصول -وكان قد أحكمها- فصَنَّف فيه تصانيف، وجدد المذهب في الفقه فصنف فيه تصانيف، وسبك الخلاف فحرَّر فيه أيضًا تصانيف، وعلت حشمته ودرجته في بغداد حتى كانت تغلب حشمته الأكابر والأمراء ودار الخلافة) (ابن عساكر،1399، ٢٩٢).

وحضر عنده رؤوس العلماء، وكان ممن حضر عنده أبو الخطاب وابن عقيل، وهما من رؤوس الحنابلة، فتعجبوا من فصاحته واطلاعه وكتبوا كلامه في مصنفاتهم (ابن كثير، 1997، ١٢/ ١٧٤).

ثم عزفت نفسُه عن التقدّم والجاه، فترك كلّ ذلك وقصد بيت الله الحرام؛ فخرج حاجًّا في ذي القعدة سنة (٤٨٨ هـ) واستناب أخاه أحمد في التدريس.

ثم في سنة (٤٨٩ هـ) دخل دمشق وجلس فيها أيامًا يسيرة، ثم توجه إلى بيت المقدس فجاور به مدّة، ثم عاد إلى دمشق واعتكف بالمنارة الغربية بالجامع الأموي مدة، وكان يكثر الجلوس في زاوية الإمام الكبير الشيخ نصر المقدسي بالجامع الأموي التي صارت تعرف بعد ذلك بالغزالية؛ نسبة إليه، وكانت تعرف من قبل بالشيخ نصر المقدسي.

ثم رجع بعد ذلك إلى بغداد وعقد بها مجلس الوعظ، وحدّث بكتاب «الإحياء»، ثم عاد إلى خُراسان ودرس بالمدرسة النظامية، ثم رجع إلى طوس، واتخذ مدرسة للفقهاء وخانقاه للصوفية بجانب داره، ووزع أوقاته على وظائف من ختم القرآن ومجالسة أرباب القلوب، والتدريس لطلبة العلم، وإدامة الصلاة والصيام وسائر العبادات، وكان في آخر أمره مقبلًا على حديث المصطفى ومجالسة أهله، ومطالعة «الصحيحين».

فكان هذا حاله رضي الله تعالى عنه إلى أن انتقل إلى رحمة ربه تعالى ورضوانه.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

خامسا: وفاته.

مات الإمام الغزالي -رحمه الله- صباح يوم الاثنين سنة (٥٠٥ هـ)، قال الإمام ابن الجوزي: (قال أحمد أخو الإمام الغزالي: لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أبو حامد وصلى وقال: عليَّ بالكفن، فأخذه وقبله ووضعه على عينيه، وقال: سمعًا وطاعة للدخول على الملك، ثم مد رجليه واستقبل القبلة، ومات قبل الإسفار قدس الله روحه).

فرحمه الله تعالى وأجزل مثوبته، وأحسن ختامنا.

المطلب الأول: ذم الغضب وبيان حقيقته.

يعد الغضب خلقا ذميما يورد الإنسان موارد الهلكة، ولذا أولاه الغزالي اهتماما بالغا وخصه بفصول في كتابه (الإحياء) أوضح فيها حقيقته والأسباب الداعية إليه ودرجات الناس فيه وكيف يعالج المرء نفسه من الغضب ويضعه في موضعه اللائق به.

فيقول في بيان ذم الغضب في نصوص الشرع وما جاء فيه: (قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: 26] ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل، ومدح المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة.

وروى أبو هريرة أن رجلا قال: يا رسول الله؛ مرني بعمل وأقلل، قال: «لا تغضب»، ثم أعاد عليه، قال « لا تغضب» (البخاري، 2002، 6116).

وقال ابن عمر: قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: قل لي قولا وأقلل لعلي أعقله، فقال: «لا تغضب»، فأعدت عليه مرتين، كل ذلك يرجع إليّ «لا تغضب».

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وعن عبد الله بن عمرو أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ماذا يبعدني من غضب الله؟ قال: «لا تغضب» (أحمد، 2008، 175/2).

وقال ابن مسعود: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما تعدون الصرعة فيكم؟ قلنا الذي لا يصرعُهُ الرجال، قال: «ليس ذلك، ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب» (مسلم، 2006، 2608).

وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب») (الغزالي، 2011، 5/ 588)، قال ابنُ عبدِ البَرّ معلقا على حديث أبي هريرة: (في هذا الحديثِ مِن الفِقهِ: فَضلُ الحِلمِ، وفيه دليلٌ على أنَّ الحِلمَ: كِتمانُ الغيظُ، وأنَّ العاقِلَ مَن ملَك نَفسَه عندَ الغضبِ؛ لأنَّ العقلَ في اللُّغةِ: ضبطُ الشَّيءِ وحَبسُه منه) (ابن عبدالبر، 1387، 6/ 322).

المطلب الثاني: بيان حقيقة الغضب.

يقرر الغزالي رحمه الله أن الله خلق الإنسان وجعله معرضا للفساد والهلاك بأسباب داخلية وأسباب خارجية، وجعل له ما يحميه من هذه الأسباب ويدفع عنه الهلاك:

أ) فالأسباب الداخلية هو أنه ركَّبَه من الحرارة والرطوبة، وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادَّة؛ فلا تزال الحرارة تحلِّل الرطوبة وتجفِّفُها وتبخِّرُها حتى تتفشَّى أجزاؤها بخارا يتصاعد منها، فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من أجزائها لفسد الحيوان، فخلقَ الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان، وخلق في الحيوان شهوة تبعثُه على تناول الغذاء؛ كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم؛ ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب.

ب) وأما الأسباب الخارجية فكالسيف والسِّنان وسائر المهلكات التي يقصد بها، فافتقر إلى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه، فخلقَ الله الغضبَ مِنَ النار، وغرزه في الإنسان، وعجنه بطينته، فمهما قصد عن غرض من أغراضه، ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب، وثارت ثورانا يغلي منها دم القلب، وينتشر في العروق، ويرتفع إلى أعالي البدن كما ترتفع النار، وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر.

فقوَّة الغضب محلُّها القلب، ومعناها: غليان دم القلب لطلب الانتقام، وإنما تتوجه هذه القوة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها، وإلى التشفِّي والانتقام بعد وقوعها، والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها، ولا تسكن إلا به. (ينظر: الغزالي، 2011، 5/ 596).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

المطلب الثالث: درجات الناس في الغضب.

يبين الغزالي درجات الناس في الغضب والحمية وأنهم على ثلاث مراتب:

1.المرتبة الأولى: التفريط بفقد هذه القوة أو ضعفها، وذلك مذموم، وهو الذي يقال فيه: (إنه لا حمية له)، ولذلك قال الشافعي رحمه الله: (من استغضب فلم يغضب فهو حمار).

فمن فقد قوة الغضب والحمية أصلا فهو ناقص جدا، وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالشدة والحمية، فقال: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: 29]، وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: 73]، وإنما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية، وهو الغضب.

ويشير الغزالي إلى بعض النتائج المترتبة على ضعف قوة الغضب في الإنسان، فيذكر منها ما يلي:

- قلَّة الأنفة مما يؤنف منه؛ من التعرض للحرم، والزوجة، والأمة، واحتمال الذل من الأخسَّاء، وصغر النفس، والقماءة، وهو أيضا مذموم؛ إذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرام، وهو خنوثة، قال صلى الله عليه وسلم: «إن سعدا لغيورٌ، وأنا أغير من سعد، وإن الله أغير مني». وإنما خلقت الغيرة لحفظ الأنساب، ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب، ولذلك قيل: (كل أمة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها).

- الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «خير أمتي أحدَّاؤها» يعني: في الدين. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: 2].

- العجز عن رياضة نفسه؛ إذ لا تتم الرياضة إلا بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل إلى الشهوات الخسيسة.

2. المرتبة الثانية: الإفراط بأن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته، ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار، بل يصير في صورة المضطرِّ.

وسبب غلبة الغضب على الإنسان كما يقرر الغزالي شيئان:

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

أ) أمور غريزيّةٌ، فرب إنسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب، حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان، ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب؛ لأن الغضب من النار كما قال صلى الله عليه وسلم، وإنما برودة المزاج تطفئه وتكسر سورته.

ب) أسباب اعتيادية، مثل أن يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية ، فيقول الواحد منهم أنا الذي لا أصبر على المكر والمحال ولا أحتمل من أحد أمرا ومعناه لا عقل في ولا حلم، ثم يذكره في معرض الفخر بجهله فمن سمعه رسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب.

3. المرتبة الثالثة: الاعتدال وهو الغضب المحمود الذي ينتظر إشارة العقل والدين، فينبعث حيث تجبُ الحمية، وينطفئ حيث يحسن الحلم، وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده، وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «خير الأمور أوساطها».

فمن مال غضبه إلى الفتور حتى أحس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذلِّ والضيم في غير محلِّه فينبغي أن يعالج نفسه حتَّى يقوى غضبه، ومن مال غضبه إلى الإفراط حتَّى

جرَّه إلى التهور واقتحام الفواحش فينبغي أن يعالج نفسه ليغض من سورة الغضب، ويقف على الوسط الحقِّ بين الطرفين، فهو الصراط المستقيم (ينظر: الغزالي، 2011، 5/ 597).

المطلب الرابع: الأسباب المهيجة للغضب.

يختلف الناس في السبب الذي يغضبون لأجله ويثوّر حميتهم، ومعرفة أسباب الغضب عند الإنسان مما يعين في معالجته وتهذيبه، ولذلك يشرح الغزالي أسباب الغضب بحسب ما يرى ويعدد عشرة منها، وهي:

الزهو، والعجب، والمزاح، والهزل، والهزء، والتعيير، والمماراة، والمضادَّة، والغدر، وشدَّة الحرص على فضول المال والجاه، (وهي بأجمعها أخلاقٌ رديئةٌ مذمومةٌ شرعا، ولا خلاص عن الغضب مع بقاء هذه الأسباب) (ينظر: الغزالي، 2011، 613).

ويحث الغزالي على معالجة هذه الأسباب بأضدادها، (فينبغي أن تميت الزهو بالتواضع، وتميت العجب بمعرفتك بنفسك، كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب، وتزيل الفخر بأنَّك من جنس عبدك؛ إذ الناس يجمعهم في الانتساب أبٌ واحدٌ، وإنما اختلفوا في الفضل أشتاتا، فبنو آدم جنس واحد، وإنما الفخر بالفضائل، والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل، وهي رأسها وأصلها، فإذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك، فلم تفتخرُ وأنت من جنس عبدك من حيث البنيةُ والنسبُ والأعضاءُ الظاهرةُ والباطنةُ؟! وأما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه إذا عرفتها. وأما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة، والعلوم الدينية التي تبلغك إلى سعادة الآخرة. وأما الهزء فتزيله بالتكرم عن إيذاء الناس، وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك. وأما التعيير فالحذر عن القول القبيح، وصيانة النفس عن مر الجواب. وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة؛ طلبا لعز الاستغناء، وترفُّعا عن ذل الحاجة) (الغزالي، 2011، 613).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ويؤكد رحمه الله أن كل واحد من هذه الاخلاق والصفات يحتاج لمجاهدة وتحمل لمشقة تهذيبه ورياضته، ويُرجع ذلك لأمرين:

1. معرفة آثار هذه الأخلاق والصفات المذمومة فإن ذلك يعين النفس على تركها وينفرها منها.

2. الاستمرار على فعل ما يضاد هذه الصفات مدة كافية من الزمن حتى تصبح معتادة للنفس وهينة عليها وتتطبع فيها دون مشقة وتكلف.

المطلب الخامس: كيفية علاج الغضب.

ينقسم علاج الغضب عند الغزالي إلى قسمين باعتبار وقته:

1. القسم الأول: علاج الغضب في النفس قبل وقوعه.

يجعل الغزالي مرجع الغضب في النفس إلى الحب والكره (وهو أنه ما دام الإنسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو من الغيظ والغضب، وما دام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بد وأن يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه، والغضب يتبع ذلك، فإنه مهما أُخِذَ منه محبوبه غضب لا محالة، وإذا قصد بمكروه غضب لا محالة) (الغزالي، 2011، 604/5).

وبناء على ذلك يقسم الغزالي ما يحبه الإنسان إلى ثلاثة أقسام:

أ) ما هو ضروري في حق الكافة، وهو: كالقوت والمسكن، والملبس، وصحة البدن، فمن قُصد بدنه بالضرب والجرح فلا بدَّ وأن يغضب، وكذلك إذا أُخِذَ منه ثوبه الذي يستر عورته، وكذلك إذا أُخرِج من داره التي هي مسكنُه، أو أريق ماؤه الذي هو لعطشه، فهذه ضرورات لا يخلو الإنسان من كراهة زوالها، ومن غيظ على من يتعرَّض لها.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ب) ما ليس ضروريا لأحد من الخلق، كالجاه، والمال الكثير، والغلمان، والدوابِّ، فإن هذه الأمور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الأمور، حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسِهما فيُكنزان، ويغضب على من يسرقُهُما وإن كان مستغنيا عنهما في القوت، فهذا الجنس مما يُتصور أن ينفكَّ الإنسان عن أصل الغيظ عليه.

ج) ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض، كالكتاب للعالم؛ لأنه مضطرٌّ إليه، فيحبُّهُ، فيغضب على من يخرقُهُ ويمزقُهُ، وكذلك أدوات الصناعات في حقِّ المكتسب الذي لا يمكنه التوصُّل إلى القوت إلا بها، فإن ما هو وسيلةٌ إلى الضروريِّ والمحبوبِ يصيرُ ضروريا ومحبوبا، وهذا يختلف بالأشخاص.

أما القسم الأول والثالث فيرى الغزالي أن علاجه لا يقصد به أن ينعدم غيظ القلب فيه بالكلية، ولكن لكي يقدر على ألا يطيع الغضب، ولا يستعمله في الظاهر إلا على حدٍّ يستحبه الشرع، ويستحسنه

العقل، وذلك ممكن بالمجاهدة، وتكلُّف الحلم والاحتمال مدة، حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا، فأما قمع أصل الغيظ من القلب فليس مقتضى الطبع، وهو غير ممكن. نعم، يمكن كسر سَورتِهِ وتضعيفه، حتى لا يشتدَّ هيجان الغيظ في الباطن، وينتهي ضعفه إلى ألا يظهر أثره في الوجه، ولكن ذلك شديد جدا.

وأما القسم الثاني فإن الغزالي يرى إمكان التوصُّل بالرياضة إلى الانفكاك عن الغضب عليه؛ إذ يمكن إخراج حُبِّه من القلب، وذلك بأن يعلم الإنسان أنَّ وطنَه القبر، ومستقرَّه الآخرة، وأن الدنيا معبرٌ يعبرُ عليها، ويتزوَّد منها قدر الضرورة، وما وراء ذلك عليه وبال في وطنِه ومستقرِّه، فيزهد في الدنيا، وينمحي حبُّها عن قلبه، ولو كان للإنسان كلبٌ لا يحبه لا يغضب إذا ضربَه غيره، فالغضب تبعٌ للحُبِّ، فالرياضة في هذا تنتهي إلى قمع أصل الغضب، وهو نادر جدا، وقد تنتهي إلى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه، وهو أهون. (ينظر: الغزالي، 2011 ، 5/ 607)

(فقد حرر القرآن إرادة الإنسان من سيطرة الشهوة، فصار الإنسان المسلم نتيجة لتربية القرآن قادرا على مقاومة شهواته وضبطها والصمود في وجه الاغراء وألوان الهوى المتنوعة، قال تعالى: "زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب . قل أؤنبكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد"). (النصيري، 2016، 42)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

2. القسم الثاني: علاج الغضب بعد وقوعه.

إذا هاج غضب الإنسان لأي سبب من الأسباب التي سبق ذكرها، فإن علاجه كما يرى الغزالي يكون بأمرين: أمر نظري وأمر عملي.

أ) أما النظري فهو أن يعلم ستة أمور:

الأول: أن يتفكَّر في أخبار فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال، فيرغب في ثوابه، فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام، وينطفئ غيظُهُ. قال مالك بن أوس ابن الحدثان: غضب عمر رضي الله عنه على رجل وأمر بضربه، فقلت: يا أمير المؤمنين: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: 199]، فكان عمر يقول: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ

وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ فكان يتأملُ في الآية، وكان وقافا عند كتاب الله مهما تُلي عليه، كثير التدبُّر فيه، فتدبَّر فيه، وخلَّى الرجل.

الثاني: أن يخوِّف نفسه بعقاب الله، وهو أن يقول: قدرة الله عليَّ أعظم من قدرتي على هذا الإنسان، فلو أمضيت غضبي عليه لم آمن أن يمضي الله غضبه عليَّ يوم القيامة أحوج ما أكون إلى العفو.

الثالث: أن يحذِّر نفسه عاقبة العداوة والانتقام، وتشمُّر العدو لمقابلته، والسعي في هدم أغراضه، والشماتة بمصائبه، وهو لا يخلو عن المصائب، فيخوِّف نفسَه بعواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة.

وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب، وليس هذا من أعمال الآخرة، ولا ثواب عليه؛ لأنَّه متردِّدٌ على حظوظه العاجلة، يقدِّم بعضها على بعض، إلا أن يكون محذورُهُ أن تتشوَّش عليه في الدنيا فراغُهُ للعلم والعمل، وما يعينه على الآخرة؛ فيكون مثابا عليه.

الرابع: أن يتفكَّر في قبح صورته عند الغضب؛ بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكَّر في قبح الغضب في نفسه، ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي، ومشابهة الحليم الهادئ التارك للغضب الأنبياءَ والأولياءَ والعلماءَ والحكماءَ، ويخيِّر نفسَه بين أن يتشبَّه بالكلاب والسباع وأراذل الناس، وبين أن يتشبه بالأنبياء والعلماء في عادتهم؛ لتميل نفسُه إلى حبِّ الاقتداء بهؤلاء إن كان قد بقيَ معه مُسكةٌ من عقلٍ.

الخامس: أن يتفكَّر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام، ويمنعه من كظم الغيظ، ولا بدَّ وأن يكون له سببٌ؛ مثل قول الشيطان له: إن هذا يحملُ منك على العجز، وصغر النفس، والذلة، والمهانة، وتصير حقيرا في أعين الناس، فليقل لنفسه: ما أعجبك يا نفس من الاحتمال الآن، ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك، وتحذرين من أن تصغُري في أعين الناس، ولا تحذرين من أن تصغري عند الله والملائكة والنبيين؟! فمهما كظم الغيظ فينبغي أن يكظمه لله تعالى، وذلك يعظِّمُه عند الله، فما له وللناس؟! وذلُّ من ظلمه يوم القيامة أشدُّ من ذلِّه لو انتقم الآن، أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا نودي يوم القيامة: ليقم من أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا. فهذا وأمثاله من معارف الإيمان ينبغي أن يقرِّرَه على قلبه.

السادس: أن يعلم أن غضبه من تعجُّبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده، فكيف يقول: مرادي أولى من مراد الله؟! ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ب) وأما العملي، فهو أن يقول بلسانه: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال عند الغيظ (البخاري، 2002، 3282).

فإن لم يزل غضبه بذلك فيجلس إن كان قائما؛ ويضجع إن كان جالسا، ويقرب من الأرض التي منها خلق؛ ليعرف بذلك ذل نفسه، ويطلب بالجلوس والاضجاع السكون؛ فإن سبب الغضب الحرارة، وسبب الحرارة الحركة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الغضب جمرة توقد في القلب ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحُمرة عينيه ؟! فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئا؛ فإن كان قائما فليجلس، وإن كان جالسا فلينم".

فإن لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل؛ فإن النار لا يطفئها إلا الماء، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء؛ فإن الغضب من النار»، وفي رواية: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ». (ينظر: الغزالي، 2011، 5/ 616)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

الخاتمة

في نهاية البحث أسجل النتائج التالية:

1. جاء الشرع بذم الغضب والتحذير منه وترتيب الجزاء على مدافعته ومجاهدته.
2. ركب الله الغضب في نفس الإنسان لضرورته في حماية نفسه من أسباب الهلاك الداخلية والخارجية.
3. تتفاوت الحمية ودرجة الغضب في الناس ما بين مفرط ومتجاوز ومعتدل.
4. تتعدد الأسباب التي تهيج الغضب في الإنسان وعلاجها بمعرفة آثارها ومقابلتها بضدها.
5. يكون علاج الغضب بالسيطرة عليه والتحكم فيه حتى لا يؤدي لفعل المحظور وارتكابه.

المراجع

1. الزبيدي، إتحاف السادة المتقين، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، المطبعة الميمنية.

2. الغزالي، إحياء علوم الدين للغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ)، تحقيق: دار المنهاج.

3. ابن كثير، البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774ه)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة: الأولى، 1417ه-1997م.

4. ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: 463هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، الطبعة: الأولى، 1387 هـ.

5. النسائي، السنن الكبرى (سنن النسائي الكبرى)، أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرحمن النسائي (ت: 303ه)، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، 2001م.

6. السبكي، الطبقات الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الثانية، 1413ه.

7. أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق: أحمد معبد عبد الكريم، جمعية المكنز الإسلامي، دار المنهاج، الطبعة: الأولى، 1429ه-2008م.

8. ابن عساكر، تبيين كذب المفتري، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1399ه.

9. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت: 1089ه)، حققه: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، الطبعة: الأولى، 1406ه-1986م.

10. البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله وسننه وأيامه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1423ه-2002م.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

11. مسلم، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار طيبة، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط1، 1427ه-2006م.

12. ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1407ه.

13. الغزالي، ميزان العمل، أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: دار المنهاج.

المجلات:

- النصيري، الشيخ كاظم، أسباب الانحطاط الأخلاقي عند المسلمين وحلها في القرآن والسنة، لارك (مجلد 8 عدد1 2016)، 42 – 58
https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss21.614

References

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

1. Al-Zabidi, Muhammad bin Muhammad bin Muhammad bin Abd Al-Razzaq Al-Husayni, Abu Al-Fayd, titled Murtada. Bestowing Gifts upon the Pious Masters. Al-Matba'ah Al-Maymaniyyah.
2. Al-Ghazali, Abu Hamid Muhammad bin Muhammad Al-Tusi (d. 505 AH). Revival of Religious Sciences. Investigator: Dar Al-Minhaj.
3. Ibn Kathir, Abu Al-Fida Ismail bin Omar Al-Qurashi Al-Basri then Al-Dimashqi (d. 774 AH) (1997). The Beginning and The End. Investigator: Abdullah bin Abd Al-Muhsin Al-Turki. Egypt: Dar Hajr, 1st edition.
4. Ibn Abd Al-Barr, Abu Omar Yusuf bin Abdullah bin Muhammad bin Abd Al-Barr bin Asim Al-Nimri Al-Qurtubi (d. 463 AH) (1387 AH). The Prelude to the Meanings and Chains of Narration in Muwatta. Investigators: Mustafa bin Ahmed Al-Alawi, Muhammad Abd Al-Kabir Al-Bakri. Morocco: Ministry of Endowments and Islamic Affairs, 1st edition.

5. Al-Nasa'i, Ahmad bin Ali bin Shu'ayb bin Ali bin Sinan bin Bahr bin Dinar, Abu Abd Al-Rahman (d. 303 AH) (2001). The Grand Sunan (Sunan Al-Nasa'i Al-Kubra). Investigator: Hassan Abd Al-Mu'nim Shalabi. Beirut: Al-Resalah Foundation, 1st edition.
6. Al-Subki, Taj Al-Din (1413 AH). The Great categories. Investigators: Dr. Mahmoud Muhammad Al-Tanahi & Dr. Abd Al-Fattah Muhammad Al-Helw. Egypt: Hajr for Printing, Publishing and Distribution, 2nd edition.
7. Ibn Hanbal, Ahmad (1429 AH/2008 AD). Al-Musnad. Investigator: Ahmad Ma'bad Abd Al-Karim. Islamic Treasure Association, Dar Al-Minhaj, 1st edition.
8. Ibn Asakir, Al-Hafiz (1399 AH). Exposing the Lies of the Slanderer. Beirut: Dar Al-Fikr, 2nd edition.
9. Ibn Al-Imad, Abd Al-Hay bin Ahmad bin Muhammad Al-Akri Al-Hanbali, Abu Al-Falah (d. 1089 AH) (1986). Golden Fragments. Investigator: Mahmoud Al-Arna'ut. Damascus-Beirut: Dar Ibn Kathir, 1st edition.
10. Al-Bukhari, Abu Abdullah Muhammad bin Ismail (1423 AH/2002 AD). Sahih Al-Bukhari: The Abridged Authentic Collection of the Affairs, Traditions, and Days of the Messenger of Allah. Damascus-Beirut: Dar Ibn Kathir, 1st edition.
11. Muslim bin Al-Hajjaj Al-Qushayri Al-Naysaburi, Abu Al-Hasan (1427 AH/2006 AD). Sahih Muslim: The Abridged Authentic Collection of Hadith Transmitted by Just Authorities from the Prophet. Riyadh: Dar Taybah, 1st edition.
12. Ibn Qadi Shuhbah (1407 AH). Levels of the Shafi'i Scholars. Investigator: Dr. Al-Hafiz Abd Al-Alim Khan. Beirut: Alam Al-Kutub, 1st edition.
13. Al-Ghazali, Abu Hamid Muhammad Al-Tusi. The Balance of Action. Investigator: Dar Al-Minhaj.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية